بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة بعنوان:

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[١]

حَافِظْ عَلَى كُلِّ قَطْرَةِ مَاءٍ.. وَاحْذَرْ مِنَ القِمَارِ بِكُلِّ صُوَرِهِ

لفضيلة الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٦ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ / ٨ نوفمبر ٢٠٢٤م

تأملات إيمانية في خَلق الماء باعتباره آية من آيات الله الكونية الناطقة بوحدانية الله وقدرته

أيها المؤمنون: تعلَّموا هذا الحقائق جيدًا وعلِّموها لأولادكم وأحفادكم ولكل الناس

- كلُّ قَطْرةِ ماءٍ تنزلُ من السماء فهي **بعلم** الله.
- **وكلُّ ذَرَّةٍ من بُخار الماء تصعدُ إلى السماء فهي بأمر الله.**
- كلُّ سحابةٍ تتكون في السماء، أو تسير فيها، أو تُنزِّل ماءها فهي **بقدر** الله.
- **وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ تسيرُ على سطح الأرض فهي بمراد الله .**
- وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ تغوصُ في باطن الأرض فهي **بتوفيق** الله.
- **وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ تخرجُ من باطن الأرض فهي بإرادة الله.**
- وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ يشربُها الإنسان أو الحيوان أو النبات فهي **مقدرة** عند الله.
- **وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ يُهدِرُها الإنسان فإنه محاسبٌ عليها أمام الله.**
- وكلُّ قَطْرةِ ماءٍ تسبح الله جلَّ في علاه.

عناوين:

- **ورد ذكر الماء في القرآن الكريم (٦٣) مـرة لتوعية الإنسان بهذه النعمة؛ ليحافظ عليها، ويجنبها أخطار التلويث والهدر والإسراف**
- **لأهمية الماء البالغة جعله الله -عز وجل- وفيراً، وجعل الناس شركاء فيه، وجعل حق الانتفاع به مكفولا للجميع بلا احتكار**
- **الدورة المائية ذكرها القرآن قبل أن يكتشفها العلم الحديث بمئات السنين**
- **الماءَ هو السائل الوحيد للإرواء الآدمي والحيواني والنباتي، وعلى الرغم من التقدم العلمي والتقني الذي تشهده البشرية، فإنها لم تستطع أن تتوصل إلى بديل صناعي آخر يمكن أن يحل محل الماء، ولن تستطيع**

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل إثرائي موسع، وللسادة الأئمة والدعاة اختيار ما يناسبهم منها... والله تعالى ولي التوفيق..
ولمزيد من المعلومات، راجع مؤلفات الدكتور/ أحمد علي سليمان في المياه، وهي: كتاب: (منهج الإسلام في مواجهة مشكلات المياه)، نشر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) ٢٠١٠م، وكتاب: (الماء والأمن القومي المصري: نحو رؤية منهجية لحل المشكلة)، نشر: كتاب الجمهورية ٢٠١٠م، وكتاب: (مستقبل الأمن المائي العربي: رؤية إسلامية حضارية)، نشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ٢٠٠٤م.

- **حفظ الله الماء العذب بجريانه وحركته الدائبة، سواء أكان معلقًا في السحاب، أم صاعدًا إلى السماء في صورة بخار، أم نازلا منها إلى الأرض في صورة أمطار، أم منسابًا على سطح الأرض بالأنهار، أم جاريا بالأعماق**
- **ميَّز الله الماء بخصائص تبرز قدرته وإعجازه، وأوجده في حالات ثلاث: الأولى: الصلبة (الثلج)، الثانية: الغازية (البخار)، والثالثة: السائلة لمصلحة المخلوقات**

نَص الخطبة:

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ومَن على دربه اقتفى.. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله وخاصته وحبيبه، إمام المرسلين، وقائد الغرّ الميامين (ﷺ)...

والصلاةُ والسلام الأتمّان الأكْملان، الأشْرفان الأنْوران، الأعْطَران الأزْهَران، المزْهِران المثمِران، المُشرقان المنيران؛ على مَن جُمعَت كلُّ الكمالات فيه، وعلى آله وصحبِه وتابعيه..

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والخوف من الله، واللجوء إلى الله، والاعتصام بحبل الله... **أما بعد،،**

أيها الناس: الماء هو أساس الحياة والأحياء فوق الأرض، وعلى ظهر الأرض، وفي باطن الأرض، وفي السماء، وفي قيعان الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات...

ومن رحمات الله تعالى أنه جعل الماء كثيرًا، وجعله غزيرًا، وجعله مستقرًّا ومستمرًّا لا ينضب، فالإنسان يعرف ما هو الماء، والحيوان يعرف ما هو الماء، والنبات يعرف ما هو الماء، وحتى الجماد يعرف ما هو الماء... الكل يحتاج إلى الماء، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء: ٣٠).

ولأهمية الماء البالغة جعله الله –عز وجل– وفيرًا وجعله غزيرًا، فالماء يمثل ٧١٪ من حجم الكرة الأرضية، في حين أن اليابسة تشكل ٢٩٪ منها.

ومِن عظيم رحماته أنه جعل الناسَ شركاء فيه، وجعل حقَّ الانتفاع به مكفولا للجميع بلا احتكار، وبالتالي لا يجوز لأحد أبدًا أن يحتكر مصادره، أو يمنع مَن يحتاج إليه، ويؤكد النبي العظيم (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) هذه الحقيقة بقوله: (المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار)[٢]، وفي رواية: (النَّاسُ شرَكاءُ في ثلاثٍ: الماءِ، والْكلأِ، والنَّارِ) [٣].

الماء ونشأة الحضارات:

الماء هو المكون الأساس في نشأة الحياة، وتطور الحضارات عبر تاريخ الإنسانية المديد.

وعلماء الفلك عندما يبحثون عن الحياة في كواكب أو في عوالم أخرى، فإنهم يستدلون على ذلك مِن خلال ما يشيرُ إلى وجود الماء في حاضر تلك الكواكب أو ماضيها؛ لذا فإن الكائنات الحية كلها –وعلى رأسها الإنسان– يدركون بأن الماء يساوي الحياة[٤].

وإن المتتبع لحركة الإنسان منذ بدء الخليقة وحتى الآن، يلحظ أن الموارد المائية كانت، وما تزال، وستظل هي نقطة الالتقاء والتجمع؛ لما لها من أهمية قصوى في حياة الكائنات الحية.

ولما كان الماء هو الأساس في نشأة الحضارات الإنسانية وتطورها؛ فإن حضارات: السومريين، والبابليين، والآشوريين، والفينيقيين، والفراعنة...إلخ، نشأت في أحواض الأنهار. كذلك فإن المدن التاريخية الكبرى قد نشأت وازدهرت على ضفاف الأنهار، فبغداد، ودمشق، والقاهرة، ولندن، وباريس، وبرلين...إلخ، بُنيت على ضفاف دجلة، والفرات، والنيل، وبردى، والتيمس، والسين، والراين –على التوالي– وهكذا في كل مدينة أو منطقة حضارية كان الماء هو المصدر الأساس لتجمعها وحضاراتها[٥]. لقد نشأت الحياة على الأرض منذ بدء الخليقة، وستبقى إلى أن

---

(٢) أخرجه أبو داود

(٣) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، عن حبان بن زيد الشرعبي، لقد غزَوتُ مع النبيّ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) غزواتٍ فسمِعتُه يقولُ، يقول: (الناسُ شُرَكاءُ في ثلاثٍ: في الماءِ، والكلأِ، والنارِ)، خلاصة حكم المحدث: له شواهد.

(٤) د. عبد العزيز بن صقر الغامدي، من تقديمه لكتاب: المياه ومتطلبات الأمن المستقبلي في الدول العربية: دراسة في دبلوماسية المياه، تأليف د. طارق المجذوب، مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض– المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ص٣ بتصرف.

(٥) فتحي على حسين، المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص ٧.

يأتي أمر الله (تعالى) مرتبطة بالماء، فهو النعمة المهداة والنِّعمة المسداة مِن الخالق العظيم، إلى مخلوقاته كي تستمر في العيش إلى ما شاء الله[٦].

الماء آية من آيات الله:

الماء آية من آيات الله الكونية التي تنطق بلسان الحال والمقال على وحدانية الله وقدرته وعظمته وإبداعه.. فأيّ عظمة هذا السائل العجيب الذي لولاه لما كانت الحياة!؛ فالنبات يعلم ما هو الماء، وكذا الجماد والحيوان والإنسان.. العالم والجاهل والرضيع والكهل، كل يقر بنعمة الماء الذي لولاه لَمَا عاش مخلوقٌ على هذه اليابسة.

أنواع الماء:

الماء نوعان: إما أن يكون مالحًا، وإما أن يكون عذبًا.

ومن جليل نعم الله تعالى على المخلوقات أن الماء يوجد في حالات ثلاث:

الأولى: الصلبة (الثلج)

الثانية: الغازية (البخار)

الثالثة: السائلة.

ويتنوع الماء إلى ثلاثة أنواع، هي: المياه الجوية، والمياه الجوفية، والمياه السطحية.

فالمياه الجوية: هي كل ما أمطرته السماء من مطر وثلج وبَرَدٍ، ويعد هذا النوع من أنقى أنواع المياه؛ لأنها مقطرة، لا سيما بعد البداية الأولى للمطر؛ نظرا لما تجرفه في بداية نزوله من غبار الهواء وغازاته والشوائب المعلقة به.

وقد قدَّر العلماء المياه الجوية في السماء بنحو: (١٢,٩٠٠,٠٠٠) اثنا عشر مليون، وتسعمائة كليو متر معكب تقريبًا من المياه، وهذه المياه الكثيرة جدًّا المعلقة والمتحركة التي تسير في أجواء السماء، والتي يكونها الله بقدرته، ويسيرها بعزته، وينزلها بإرادته، تنطق بلسان الحال والمقال على وجود الله القدير.

والمياه السطحية: هي المياه الموجودة على سطح الأرض، وتكون إما جارية كالأودية والأنهار[٧]، أو راكدة كالبحيرات.

أما المياه الجوفية: فهي مياه تنشأ من مصادر متعددة، أهمها: مياه الأمطار، ومياه الأنهار والبحيرات، والمياه الجوفية الناتجة عن النشاط البركاني، ومياه البحار والمحيطات نتيجة تسربها إلى خزان المياه الجوفي، وكذلك من المياه التي تخزن في الصخور الرسوبية أثناء عملية ترسبها[٨].

وهذه المياه تغيض في التربة التي يكون فيها ما يساعد على نفوذ الماء، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون: ١٨).

والمياه الجوفية تنفذ في الأرض، وتسيل منحدرة حتى تصادف طبقة لا تسمح بتخطيها أو النفاذ منها –كطبقة صخرية أو غضارية– فتقف فوقها وتتراكم، ومن ثم تُشكل المياه الغائرة السطحية.

وقد تجد هذه المياه منفذًا لها من تحت الوادي فتخرج في شكل عين أو يُنبوع، أو تجد لها منفذًا فيما تحت الوفاض الأول فتغور بعدها، حتى تصل إلى طبقة كثيفة ثانية وتشكل المياه الغائرة العميقة[٩].

وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) (البقرة: ٧٤)، ويقول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) (الزمر: ٢١). والمياه الجوفية تخرج إما عن طريق **الينابيع**، أو عن **طريق الآبار**.

والمياه الجوفية تشكل حوالي ٢٤٪ من إجمالي المياه العذبة في العالم، وبهذا تكون المياه الجوفية مستودعًا كبيرًا وموردا أساسيًّا لاسيما للبيئات الصحراوية أو تلك التي تفتقر إلى الأنهار، وكله مقدر بقدر الله.

---

(٦) محمود محمد حبيب، محروس الشرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، سنة ١٩٩٩م، ص ٦٧.

(٧) راجع: الدكتور خالد عزب، كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٢ وما بعدها بتصرف..

(٨) د. على إبراهيم الزيات، المفهوم الإسلامي للبيئة وتلوثها، بحث مقدم لمؤتمر (الاجتهاد في قضايا الصحة والبيئة والعمران) الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع الإيسيسكو واستضافته جامعة اليرموك الأردنية في الفترة من ٣. ٥ يونيو٢٠٠٣م، ص ٢١ بتصرف.

(٩) د. عبد الفتاح الحسيني الشيخ، الماء والإصحاح في الإسلام، منظمة الصحة العالمية، سلسلة الهدى الصحي (٢) سنة ١٩٨٨م. ص ٢. ٣ بتصرف.

لماذا خلق الله الماء المالح؟

الماء المالح الموجود في البحار والمحيطات والبحيرات المالحة، هو مِن الكثرة والوفرة بمكان، وقد قدَّر العلماءُ هذه المياه المالحة بـ: (١,٣٨٠,٠٠٠,٠٠٠) واحد مليار وثلاثمائة وثمانون مليون كليو متر معكب من المياه تقريبًا، وهذه المياه الكثيرة جدًّا جدًّا هي مخزون استراتيجي كبير جدًّا لكل الأجيال من المخلوقات إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين، ويحمل رسالة طمأنة من الله الرازق الحكيم، لشتى المخلوقات، لطمأنتها على رزقها من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، قال تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات: ٢٢)، وقال: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود: ٦).

عناية القرآن الفائقة بالماء:

نظرًا لعظم الماء وأهميته القصوى للحياة، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاثا وستين مرة، بالمشتقات التالية: (ماء "تسعة وخمسون مرة"– ماءك "مرة واحدة"– ماءها "مرة واحدة"– ماؤكم "مرة واحدة" – ماؤها "مرة واحدة") – منها ثمان وثلاثون مرة في الآيات المكية، وخمس عشرة مرة في الآيات المدنية–، وذلك لتوعية الإنسان بهذه النعمة ليحافظ عليها، ويعمل جاهدًا على تجنيبها أخطار التلويث[١٠] والإسراف..

ومن الملاحظ أن معظم آيات الماء جاءت في القرآن المكي.

والقرآن المكي جاء ليخاطب الناس، ليعرفهم بالله، ويستحثهم على إعمال عقولهم وقلوبهم في الآيات والحجج والبراهين الدالة على وجوده (سبحانه وتعالى)، ولما كان الماء من آيات الله (تعالى) الكونية الدالة على وجوده ووحدانيته وقدرته، فقد كثر ذكره في الآيات المكية، حضًّا للناس على الإيمان بالله.

والناظر المدقق في كتاب الله (تعالى) يلاحظ أن معظم المواضع التي ورد فيها ذكر الماء، يكون ذكره فيها مرتبطا بالأرض، وهي إما ميتة، أو هامدة، أو خاشعة، فينزل عليها الماء فتهتز، وتربو، وتُنبت كلَّ ما هو مخضر بهيج، قال تعالى: (..وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: ٥)، فكأنَّ الماء بمثابة الروح للجسد، يحيا عندما تُنْفَخ فيه تلك الروح، ويموت عندما تفارقه[١١].

الإعجاز الإلهي في حفظ الماء:

لما خلق الله (تعالى) الماءَ وجعله أساسَ الحياة، جعل معه ما يحفظه.

حيث **حفظ مياه البحار والمحيطات بإضافة الملح إليها**، والملح بمثابة المادة الحافظة لها من الفساد[١٢]، ولكن إضافة الملح تتم بقدر الله (تعالى) وبِنِسَبٍ معينة، وبما يسمح بعيش الكائنات الحية فيها، وبما يسمح بمرور الفلك فيها وعدم الإضرار بها، وبما يسمح لبعض البيئات بتحلية المياه والاستفادة منها... وكلُّ ذلك يتم بقدر الله، ووفق التنظيم البديع المحكم الذي وضعه الله الحكيم في هذا الكون.

وحفظ الماء العذب بجريانه في إطار حركة دائبة، لا تنقطع أبدًا، سواء أكان الماء معلقًا في السحاب، أم صاعدًا من الأرض إلى السماء في صورة بخار، أم نازلا من السماء إلى الأرض في صورة أمطار، أم منسابًا على سطح الأرض في صورة أنهار، أم عندما يصل جريانه إلى الأعماق؛ ليسلك طريقه إلى جوف الأرض... كل هذه الحركة الدائبة الدائمة المستمرة التي لا تنقطع أبدا والتي تمنع فساده، وتزيل شوائبه، وتجدد طهارته، وصلاحيته للحياة والأحياء.

كما حفظ الماء في القطبين الشمالي والجنوبي بالتجمد، كمخزون استراتيجي وكمركز للتوازن في هذا الكون الفسيح.

ولا شك أن هذا في حد ذاته إعجاز عظيم في الكون[١٣].

---

(١٠) د. أحمد محمد عمر، المياه والحياة بين الوفرة والندرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٦٦، ٢٠٠٠م، ص ٢٢.

(١١) المرجع السابق، ص ٦٤.

(١٢) د. أحمد محمد عمر، الماء والحياة بين الوفرة والندرة، ص ٢٥ بتصرف.

(١٣) المرجع السابق ص ٢٢ – ٢٤ بتصرف.

خصائص الماء: قراءة في وجوه الإعجاز:

ميَّز اللهُ الحكيمُ الماءَ بخصائص تبرز قدرته (سبحانه وتعالى) وإعجازه في خلقه؛ فالماء:

– سائل شفاف لا لون له

–ولا طعم له

– ولا رائحة له. وهو يتكون من اتحاد عنصري الهيدروجين والأكسجين (H_2O). أي ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين [١٤].

وعلى الرغم من أنَّ غاز الهيدروجين شديد الاشتعال، وغاز الأكسجين يساعد على الاشتعال، فإن الله (سبحانه) كوَّن منهما معًا جزيء الماء وجعله: هادئًا، مستقرًّا، راويًا، منظفًا، ملطفًا، ومنظمًا لحرارة الإنسان والحيوان والنبات والحياة...

فسبحان مَن حوَّل غازين شديدي التفاعل والاشتعال (الهيدروجين، والأكسجين) إلى مركب مستقر هادئ وهو الماء غير قابل للاشتعال، وهذا يدل على حكمة الله في خلقه، حيث رتب الأمور بتوازن دقيق؛ ليخلق من عناصر شديدة التفاعل، مركبًا ضروريًّا للحياة ومستقرًا يستخدمه كل المخلوقات.

وهكذا فإن الماء يسهم في تنظيم حرارة الجسم بالتعرق، ويذيب المواد الغذائية داخل جسم الإنسان، ويتميز بخاصيتي: (الإذابة، والطفو)، فكثير من العناصر عندما تختلط بالماء تطفو على سطحه، ولهاتين الخاصتين –الطفو والإذابة– أمرنا الله (سبحانه وتعالى) أن نستعمل الماء في التطهر؛ لتذوب المواد التي نريد التخلص منها، وتبتعد عن الجسم المراد تنظيفه.

كما يدخل الماء في كل العمليات البيولوجية والصناعية، ولا يمكن لأي كائن حي مهما كان شكله أو نوعه أو حجمه أو لونه أو سِنه أن يعيش بدون الماء.

وهكذا.. وعلى الرغم من التقدم العلمي والتقني الكبير الذي تشهده البشرية حاليا والذي ستشهده مستقبلا، فإنها لم تستطع أن تتوصل إلى بديل صناعي آخر يمكن أن يحل محل الماء، ولن تستطيع.. وصدق الله القائل: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: ٣٠).

سبقُ القرآن في الحديث عن الدورة المائية:

تناول القرآن الكريم مفهوم الدورة المائية بوصفها دليلاً على عظمة الخلق ودقة النظام الكوني، حيث أشار وبوضوح إلى مختلف مراحل الدورة المائية وبتفاصيل دقيقة، توافقت معها حقائق العلم الحديث.

والدورة المائية، التي تحدث عنها القرآن العظيم، تعكس نظامًا دقيقًا يُدير حركة الماء على سطح الأرض بشكل متكامل.

وفيما يلي شرح علمي ميسر للدورة المائية بناءً على ما ورد في القرآن العظيم:

١. **تبخر الماء وصعوده إلى السماء**: حيث تبدأ الدورة المائية، عندما يأمر اللهُ (تعالى) الشمسَ أن ترسل أشعتها على المسطحات المائية الضخمة جدًّا في البحار والمحيطات، فتسخن سطح الماء، فيتبخر الماء ويتكاثف ويتصاعد البخار إلى الغلاف الجوي في السماء على شكل سحب وضباب، وهذا التبخر والتصعيد مذكور ضمناً في آيات القرآن، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) (الروم: ٤٨). وهنا يشير إلى دور الرياح في تحريك جزيئات الماء وجعلها تتجمع في السحب.

٢. **تكوين السحب وتجمعها**: يحتوي الغلاف الجوي (السقف) على بخار الماء المتصاعد من الأرض والذي بخرته الشمس من المسطحات المائية في المحيطات والبحار، والدفع به إلى أعلى، وعندما يرتفع بخار الماء في الغلاف الجوي، يبرد ويتكثف على شكل قطرات صغيرة تتجمع لتشكل السحب. حيث تثير به الرياح –وهي التيارات الهوائية– المقدرة من الله، وفي ذلك يقول الله تعالى:) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ

(١٤) محمود محمد حبيب، محروس الشرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، (مرجع سابق) ص ٦٢.

يَسْتَبْشِرُونَ) (الروم: ٤٨). ويقول: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (فاطر:٩). ويشير هذا إلى آلية تجمع وتوزيع السحب في السماء بفعل الرياح التي يسيرها الله.

٣. **نزول المطر وتوزيعه**: بعد تجمع السحب وتحريك الله تعالى لها كما يشاء، تبدأ الأمطار في النزول على الأرض بإرادته وحكمته وقدره. وقد ذكر القرآن نزول المطر كخطوة مهمة لإحياء الأرض وتوزيع المياه: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) (المؤمنون: ١٨). وهذه الآية تشير إلى أن نزول الماء يتم بدقة وكميات مناسبة، لضمان توزيع المياه بشكل مفيد لشتى المناطق على الأرض.

٤. **تخزين المياه في الأرض**: بعد نزول الأمطار، تتغلغل المياه إلى باطن الأرض، حيث تُخزن في التربة والينابيع والطبقات الجوفية، مما يوفر مصدر مياه دائم. قال تعالى: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) (الزمر: ٢١). توضح هذه الآية كيف يتم تخزين المياه داخل الأرض من خلال الينابيع والطبقات الجوفية.

٥. **استمرارية الدورة المائية واستدامتها**: تشير الآيات إلى أن الماء ينتقل في دورة دائمة بقدرة الله. فالماء الذي ينزل يعود مجددًا ليتبخر ويصعد، مما يحافظ على تجدد موارد المياه ويضمن بقاء الحياة على الأرض.

وقد جاء العلم الحديث متوافقًا مع ما سبق إليه القرآن العظيم.

وفي ذلك يقول تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧).

وهذه الآيات وغيرها تقدم دليلاً على إعجاز القرآن وسبقه في الإشارة إلى النظام الدقيق الذي يحكم الدورة المائية (الدورة الهيدرولوجية hydrologic cycle)، وأن هذا النظام يعكس قدرة الخالق وحكمته في توازن الطبيعة وتجدد موارد الحياة على الأرض.

ومن عظيم قدرة الله (تعالى)، أنه جعل الماء يتشكل حسب البيئة التي يوجد فيها، فهو تارة شلال جارف، وتارة أخرى يرتفع بقوة نحو السماء؛ ليعود فيسقط ثانية، وهكذا من خلال ما يسمى الدورة المائية من البحر إلى اليابسة من خلال الغلاف الجوي وعودتها من اليابسة إلى البحر، حيث يرسم الماء خلال حركته على سطح الأرض، دورة مغلقة تدعى عادة "بالدورة الهيدرولوجية" [١٥].

***

وهكذا يعود الماء إلى البحار والمحيطات من خلال الأمطار والأنهار والينابيع ليجددها، ومن ثم فهما مصدرا الماء العذب على الأرض كلها، وهو غير مخزون ولكنه دورة بين السماء والأرض، ذلك أن الماء المخزن في الأرض مدة طويلة يذيب أملاحا فينشرها فيصير مالحا أجاجا. قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) (الواقعة: ٦٩-٧٠).

إن الطبقة السفلى من الغلاف الجوي تعيد بخار الماء المتصاعد إليها بشكل مطر، وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى الدورة الهيدروليكية المستمرة والمسخرة بين المحيطات والأنهار من جهة، وبين سحب الغلاف الجوي من سمائنا من جهة أخرى، فإذا تبخر جزء من ماء الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليها من السماء على هيئة أمطار. قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون: ١٨)، والتعبير القرآني "بقدر" فيه إشارة صريحة إلى توازن توزيع الماء، فالأنهار مثلاً تنساب بصفة دائمة طوال العام على الرغم من أن الأمطار موسمية وتتم في بضعة شهور فقط[١٦].

إن تغذية الأنهار وغيرها من مصادر المياه تتم بقدر وبكميات مقننة بقدرة الله (سبحانه وتعالى) والتوازن واضح أيضًا في تصريف المياه وعودتها إلى البحار، وكذلك تكوين الضباب والسحاب لتتكرر الدورة، ولولا هذا التصريف لاجتاحت الفيضانات والسيول الكرة الأرضية كما يحدث أحيانًا حينما تتعطل مؤقتا –لحكمة إلهية– العمليات الطبيعية المذكورة في الدورة الهيدروليكية لتعطي للإنسان إنذارًا وتجعله شاكرًا لله على استمرار هذه

(١٥) مجمع اللغة العربية، معجم الهيدرولوجيا، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٧٢.

(١٦) صالح نعمان: منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة– الجزائر، سنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ٢٦٧-٢٧٠

الدورة في توازن مستمر تؤدي فيه السماء دورًا أساسيًّا بإعادة الأمطار من السحاب إلى الأرض[١٧] بإرادة الله وقدرته.

ولا شك أن الدورة المائية التي ذُكرت في القرآن قبل أن يكتشفها الغرب بنحو ١٤٠٠ عام، تدل دلالة واضحة على عظيم قدرة الله وإعجازه في خلقه، وعلى صدق النبي المعصوم المبلغ عن ربه جل وعلا؛ ذلك أن بخار الماء المندفع من داخل الأرض أو المتبخر من سطحها ما كان ليرجع إلينا أبدًا، لو لم يخص الله (تبارك وتعالى) الغلاف الغازي المحيط بالأرض (نطاق المناخ) بتناقص في درجة الحرارة كلما ارتفعنا حتى نصل إلى ناقص ٦٠ درجة مئوية على ارتفاع حوالي ١٠ كم من سطح البحر، حيث يتكثف بخار الماء عند اصطدامه بهذا النطاق، فيعود منه مطر أو برد أو ثلج، فهذه إحدى صور الرجع، وأحد مظاهر الحفاظ على الأرض وما فيها.

واستكمالا للعطاءات الإلهية للبشر، فقد جعل الله تعالى البخر من أسطح البحار والمحيطات يفوق ما يسقط فوقها من مطر بكثير، وأن المطر فوق اليابسة يزيد على البخر من سطحها، بنفس القيمة التي تفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات، ولولا هذه الدورة لفسد ماء الأرض كله في فترة زمنية وجيزة[١٨].

كما جعل سبحانه بخار الماء (السحب) سببًا في منع معظم الأشعة الحرارية طويلة الموجة (تحت الحمراء) الوافدة إليها من الخارج (الكون والشمس خاصة) التي تمتصها صخور الأرض والمحيطات[١٩] وتعيد إشعاعها في الجو بعد غياب الشمس.

وهكذا تبين من الدراسة المتأنية للقرآن الكريم أن مفهوم "الدورة الهيدرولوجية" واضح ومبين في كثير من آياته وضوحًا يلفت الأنظار.

وهذا ما لفت انتباه العالم الفرنسي **موريس بوكاي** مؤلف كتاب "الكتاب المقدس والقرآن والعلم" حيث عقد في كتابه فصلاً بعنوان: "الدورة المائية في القرآن الكريم" ختمه بهذه العبارة: "وإذا قارنا بين المعطيات الهيدرولوجية الحديثة وتلك التي تستقى من عديد من الآيات القرآنية نلاحظ وجود توافق شديد ملحوظ بينهما". لعل هذا المفهوم العلمي الواضح للدورة الهيدرولوجية في القرآن الكريم هو الذي هيأ ظهور فكرة الدورة الهيدرولوجية في وقت مبكر على يد المهندسين المائيين المسلمين [٢٠].

فلسفة الإسلام في استثمار المياه ومحاربة الإسراف فيها:

تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية الغراء للحث على المحافظة على شتى موارد المياه واستثمارها، وعلى حمايتها من كل العوامل التي تسبب فسادها؛ لذلك نهت الشريعة عن الإسراف في الماء أو استعماله في غير موقعه، أو تجاوز الحد اللائق في استعماله؛ حتى لو كان بغرض الطهارة من الحدث الأكبر أو الأصغر، وكان النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) مضرب المثل والقدوة الحسنة والمثل الأعلى في ذلك.

فعن أنس (رضي الله عنه) أنه قال: "كانَ النبيُّ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) يَتَوَضَّأُ بالمُدِّ، ويَغْتَسِلُ بالصَّاعِ، إلى خَمْسَةِ أمْدادٍ"[٢١].

وعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيّ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) يسأَلُه عن الوُضوءِ؟ فأَراه ثلاثًا ثلاثًا، قال: (هذا الوُضوءُ، فمَن زاد على هذا فقد أساءَ وتعدَّى وظلَمَ)[٢٢].

وجاءت الأحكام الشرعية لتنبه على أهمية الماء في الحياة، وتحذر من الإسراف في استهلاكه في شتى الأغراض (الشرب والنظافة والصناعة والزراعة..)، وحتى في مجال العبادات، سواء أكانت هذه المياه متوفرة

---

(١٧) الدكتور أحمد فؤاد باشا: رحيق العلم والإيمان – موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.amaneena.com .

(١٨) زغلول النجار: الإعجاز العلمي في القرآن. ج٣، ص١٣.

(١٩) زغلول النجار: مرجع سابق ج٣، ص١٣. وانظر: صالح نعمان، منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر، ص ٢٦٧-٢٧٠.

(٢٠) نقلا عن: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ (مرجع سابق) ص ٥ بتصرف، وانظر: جلال الخانجي، مدخل لمفهوم الدورة الهيدرولوجية عند العرب والمسلمين، ص ٨٦، كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمي العربي بحلب، ١٩٨٠م، وموريس بوكاي، الكتاب المقدس والقرآن والعلم، ص ١٨٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٢١) أخرجه مسلم

(٢٢) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد، باختلاف يسير.

بكثرة أم محدودة؛ لأن العبرة بالتصرف الأخلاقي المتوازن فيها، وليس بالنظر إلى كثرتها أو قلتها، حتى تحتفظ البيئة بتوازنها بهذا المورد المهم، قال مجاهد: "لو أنفق إنسان ماله في الحق لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مُدًّا في غير حق كان مبذرا"(٢٣).

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أنَّ النَّبيَّ (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) مرَّ بسَعدٍ وَهوَ يتوضَّأُ، فقالَ: (ما هذا السَّرَفُ يا سَعدُ؟) قالَ: أفي الوضوءِ سَرفٌ يا رسول الله؟!، قالَ: (نعَم، وإن كنتَ على نَهْرٍ جارٍ)(٢٤).

والحديث يدل على النهي عن الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد.

وقد أجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء، حتى ولو كان الشخص على شاطئ النهر. ومعنى هذا أن كل استهلاك للماء يتجاوز القدر المطلوب المؤدي للغرض، ويتسبب في إهدار كميات منه بدون سبب، يعدُّ في الإسلام إساءة وظلمًا.

وقد استند الفقهاء إلى هذا الحديث ليقرروا أن الزيادة في غسل الأعضاء في الوضوء على الثلاث الواردة في الحديث مكروهة، إذا كان الماء مباحًا أو مملوكًا لصاحبه، وأما إذا كان موقوفًا مثل: ماء المساجد والمدارس...إلخ، فإن الزيادة فيه على ثلاث، حرام عند جمهور الفقهاء؛ لأن الغرض منه هو الوضوء الشرعي فقط.. والله تعالى أعلى وأعلم. ومن هنا نؤكد على أنه إذا كان التشديد في استهلاك الماء في حالة العبادة والتطهر هذا شأنه، فمن باب أولى أن يلتزم الإنسان بالحد المعتدل في الحالات الأخرى كالطهي والتنظيف والاستحمام والنظافة... وغيرها(٢٥).

الإسلام.. والنهى عن تلويث الماء.. سبق طبي ورشد حضاري:

تحفل الشريعة الإسلامية بكثير من النصوص التى تحث على حماية الماء من التلوث، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) قال: (لا يغتسِلْ أحدُكم في الماءِ الدَّائمِ وهو جُنُبٌ)، فقالوا: كيف نفعَلُ يا أبا هُرَيرةَ؟ قال: يتناوَلُه تناولًا(٢٦).

وعن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) (أنَّه نَهَى أنْ يُبالَ في الماءِ الرَّاكِدِ)(٢٧)، كما نهى عن التبرز فيه؛ فعن معاذ بن جبل (رضى الله عنهم جميعا) قال: قال رسول الله (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ): (اتَّقوا الملاعِنَ الثَّلاثَ: البَرازَ في الموارِدِ، وقارِعةِ الطَّريقِ، والظِّلِّ)(٢٨).

كما نهى أيضًا عن ترك الإناء بدون غطاء، أو ترك السقاء بدون رابط؛ حتى لا يتلوث ما بداخله، فعن جابر (رضى الله عنه) أنه سمع النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) يقول: (غَطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاءَ(٢٩)، فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فيها وباءٌ، لا يَمُرُّ بإناءٍ ليسَ عليه غِطاءٌ، أوْ سِقاءٍ ليسَ عليه وِكاءٌ، إلَّا نَزَلَ فيه مِن ذلكَ الوَباءِ)(٣٠).

ويتجلى حرص النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) في المحافظة على نقاء الماء في قوله: (إذا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ مِن نَوْمِهِ، فلا يَغْمِسْ يَدَهُ في الإناءِ حتَّى يَغْسِلَها ثَلاثًا؛ فإنَّه لا يَدْرِي أيْنَ باتَتْ يَدُهُ) (٣١).

وسبب الحديث كما قال العلماء، أنهم كانوا يستنجون بالحجارة وبلادهم حارة، فإذا نام أحدهم عرق فلا يأمن النائم أن تقع يده على ذلك الموضع النجس...إلخ(٣٢).

---

(٢٣) محمد على الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت الطبعة، السابعة سنة ١٩٨١م، صـ٤٧٣.

(٢٤) أخرجه الإمام أحمد في مسندة بإسناد صحيح

(٢٥) د. محمد زرمان: الفقه الإسلامي ودوره في حل مشكلة التلوث (مرجع سابق) صـ٢٩-٣٠ بتصرف، وانظر أيضاً: الشوكاني: نيل الأوطار، طبعة دار الجيل، بيروت ج١ صـ٢٥٠، محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، ج١ صـ١١٨.

(٢٦) أخرجه ابن حبان

(٢٧) أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة

(٢٨) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير.

(٢٩) أي غطوا الطعام واربطوا قِرب الماء.

(٣٠) أخرجه مسلم

(٣١) أخرجه مسلم

(٣٢) د. عبد الفتاح الشيخ: اهتمام الإسلام بالماء والنظافة، ص٢٦.

ومن هنا يتبين سر نهي النبي (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ) عن التبول والتبرز في الطريق والظل والماء، سواء أكان جاريًا أم راكدًا؛ لأن الماء الجاري يحتاجه الناس في شرابهم ومأكلهم ونظافتهم وزراعتهم، فإذا كان ملوثًا بشيء مما ذُكر، وكان هذا الشيء لإنسان مريض، فلا شك في انتقال المرض إلى مَن استعمل ذلك الماء الملوث(٣٣).

وفي حالة الماء الراكد تزداد المخاطر وتتفاقم وتزداد حدتها؛ لأن الماء الراكد بطبيعته يعدُّ مرتعًا للميكروبات التي تسبب أمراضًا للإنسان.

كيف ينظر كبار علماء الإسلام إلى زراعة نباتات الزينة؟

ومن عظمة الإسلام إقراره لمبدأ المحافظة على الثروة النباتية وعدم الإسراف في زراعة ما ليس فيه فائدة، أو تقل فائدته من النباتات، تحاشيًا لاستنزاف المياه فيما لا عائد له، واستبداله بزراعة النباتات المثمرة التي تحقق الكفاية من الغذاء للمواطنين.

وهذا المبدأ اعتمده الفقهاء المسلمون بناء على ما أقره الإسلام من الامتناع عن الإسراف في كل مجالات الحياة، بيد أنهم أباحوا زراعة نباتات الزينة في الحالات التي تكون فيها الأمة مكتفية في غذائها، أما إذا كان عدد السكان كبيرًا، والإنتاج الزراعي غير كاف لتلبية احتياجاتهم الضرورية –كما هو الحال الآن– فإن الإسلام يفرض علينا أن نوجه عنايتنا إلى زراعة المحاصيل الغذائية، وعدم تبديد التربة والمياه فيما لا فائدة منه.

سبق العرب إلى علوم استنباط المياه الخفية:

مما يدعونا للفخر والزهو بعلمائنا وحضارتنا الزاهرة أنَّ علماءنا كان لهم قَصَبُ السَّبْقِ في معرفة أماكن المياه الجوفية بشكل دقيق، فإذا كانت التقنيات الحديثة والأقمار الصناعية وأجهزة الاستشعار عن بُعد تعطي مؤشرات عن إمكانية وجود المياه الجوفية في أماكن معينة، من خلال وجود شقوق في الجبال مثلا، وهذه المؤشرات قد لا تتسم بالدقة الكافية أو الثبات، فإن الحضارة الإسلامية –من خلال علمائها النابهين الأفذاذ– قد تميزت في هذا المجال تميزًا أبهر الدنيا كلها، مما يدعونا إلى دراسة تراث علمائنا وما سطروه في هذا المجال، تحقيقا لتعظيم الاستفادة من المياه الجوفية التي يمكن أن تؤدي دورًا كبيرًا في علاج مشكلاتنا المائية الحالية والمستقبلية..

فقد استدلوا على وجود الماء الجوفي وكميته من خلال الأحجار والجبال والطين.. ومن خلال أشكال الجبال التي تحتفظ بالثلوج وتختزن الماء في أجوافها، ومن صفاتها أن تكون مغطاة بالشجر، بشكل يظللها فيؤدي إلى احتفاظ الأرض بالرطوبة وتقليل البخار.

وفي الصحاري ينظر إلى الأرض وشكل حجارتها، فالحجارة الرخوة السوداء تدل على الماء، والحجر المختلف الألوان المتبدد يدل عليه، والحجر الأبيض المتفرق، وكذلك الصخور الثابتة، ويلاحظ أنه يشير إلى الحجر المتفرق والمتبدد، وهذا يعطي دليلاً على الفراغات، وبالتالي ازدياد تسرب الماء إليها.

وأيضا من خلال وجود مجموعة من النباتات التي يدل وجودها في الصحراء على الماء الجوفي، بشرط أن يكون نابتًا من غير زرع، وأن يكون غضًّا، ومن هذه النباتات (نبات الحاج) حيث إن جذوره تمتد حتى تصل إلى الماء، وتمتد جذوره إلى ١٥ ذراعًا، أي ما يقرب من ٨ أمتار تقريبًا، وذكر العلماء المسلمون مثالاً آخر لنفس النبات، حيث وصلت جذوره إلى ٥٠ ذراعًا، أي نحو ٢٧ مترًا.

وهكذا رُزِق العرب منذ قديم الزمان فراسة حاذقة، يتعرفون بها على مكامن الماء في باطن الأرض ببعض الإشارات الدالة على وجوده، وبُعده وقُربه، وذلك: بشم التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص...إلخ.

وقد سمى العلماء معرفتهم هذه بـ "علم الريافة"، ويقال لمَن يقوم بالحفر وإنباط الماء "القناء"، وقد تطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب إبان تفجر ينابيع العلم منذ ظهور الإسلام، وتبحر العلماء المسلمين فيه، وقامت الحضارة الإسلامية وعمرانها على أسسه وقواعده، فصارت بجهود علماء الرياضيات والطبيعيات علمًا

(٣٣) المرجع السابق، وانظر: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه؟ (مرجع سابق).

محررًا ومدونًا، وفنًّا تطبيقيًّا بالغ الدقة، ارتقى به بعضهم إلى اختراع موازين يزن بها ارتفاعات الأرض على النحو الدقيق الذي اهتدى إليه، وشرح صفته المهندس الرياضي (الكرجي)، وبدأ العلماء المسلمون التأليف في الماء في أواخر المائة الثانية الهجرية، وقد تناولوا بحثه من جوانب مختلفة، وأرقاها وأبلغها فوائد وعوائد ما ألفوه في (استنباط المياه الخفية)[٣٤].

وهكذا رأينا منهج الإسلام القويم في المحافظة على المياه ورعايتها، والتحذير من الإضرار بها، وكان تطبيق المسلمين وحكامهم في عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة لهذا المنهج أكبر دليل على استقرارهم ونهضتهم واستثمارهم المثالي في قضية المياه، مما يستدعي منا جميعا العودة إلى هذا المنهج الرباني، والتمكين له بشتى السبل والوسائل، وتطبيقه، والاستفادة من تراثنا الإسلامي التليد المجيد، ومِن الأفذاذ من علماء حضارتنا في عصرها الزاهر، ومن المستجدات العصرية التي تتواءم مع منهجه الشامل...

نحو خطة استراتيجية لتحقيق كفاية الوطن العربي من الغذاء:

في ظل محدودية المياه العذبة في المنطقة العربية وتلوثها وسوء إدارتها، وفى ظل مشكلة عدم مواكبة المساحة الزراعية لعدد السكان المتزايد يوما بعد يوم، وفى ظل افتقار ملايين البشر في الدول النامية إلى الوجبات الكافية والملائمة، ويعانون من سوء التغذية..

في هذه الظلال يسرنا أن نقدم خطة استراتيجية تُسهم في تحقيق كفاية الوطن العربي من الغذاء:

أولا: الاتجاه إلى البحار والمحيطات للحصول على الغذاء وتعظيم الاستفادة من خيرات الله فيها

•إن الرقعة الزراعية ومساحات المراعي في العالم التي يتم الاعتداء عليها كل يوم لن تستطيع –في ظل التعدي عليها– أن تفي بحاجات هذا الازدحام الرهيب من الأفواه المطالبة بالغذاء، والمتزايدة كالطوفان عامًا بعد عام، وليس أمامنا إلا البحار والمحيطات والخلجان نأخذ منها..

فرياح الأمل تهب منها، ذلك أن البحر مخزن عظيم لأنواع الطعام المختلفة.. فعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة أثبتت أن البحر في حالته الطبيعية ينتج –في كل جزئية منه– بقدر ما تنتج اليابسة من الغذاء للبشر، فإن الإنسان لا يأخذ من مصادر المياه المالحة سوى ١٪ تقريبًا من حاجاته الغذائية..

ومن ثم فلابد أن نوجه طاقاتنا وإمكاناتنا إلى البحر، ونعامله بالأساليب الحديثة كمزرعة عظيمة تعطى الأمل الكبير في انفراج أزمة الغذاء، وتسعد ملايين الجوعى والمحرومين في كل مكان.

ثانيا: معالجة مشكلات البيئة من خلال المنهج الإسلامي في ظل عجز الأساليب المتبعة عن معالجتها

قدَّم الإسلام منهجًا شاملا ومتكاملا وصالحًا لحماية البيئة والحفاظ عليها في كل زمان ومكان، وبما يضمن إحداث التنمية المستدامة للبيئة والحفاظ على توازنها.

ولا ريب أن إغفال تطبيق منهج الله تعالى تسبب في ظهور كثير من المشكلات الاجتماعية وتفشيها في شتى أنحاء العالم.. ولعل من أهمها مشكلة التلوث البيئي التي يعانى منها المجتمع المعاصر، والتي انتشرت آثارها السيئة، في كل أنحاء المعمورة، وتمثلت في ظهور كثير من الأمراض المزمنة والأمراض السرطانية وغيرها مما عجز الأطباء أن يجدوا لها علاجا حتى الآن.

ناهيك عن بروز مشكلات عالمية خطيرة مثل: التغير المناخي، والتصحر، والاحتباس الحراري، وارتفاع درجة حرارة الأرض، وما قد ينجم عنها من الإخلال بالتوازن الطبيعي في الكون، وإذابة بعض الجليد في القطب الشمالي، مما يهدد بغرق كثير من المدن في عدد من دول العالم وتلاشيها، وما ينجم عن ذلك من تشريد ملايين البشر... وغيرها من المخاطر البيئية التي نتجت عن طمع الإنسان وأنانيته وعدم قدرته على ضبط غرائزه، ومحاولته الدائمة للسيطرة على الموارد البشرية واستغلالها لصالحه فردًا كان أو مجتمعًا دون مراعاة لحقوق الآخرين ودون وعي لمحدودية الموارد.

---

(٣٤) المرجع السابق

ولما كان الإسلام هو الدستور الذي ارتضاه الله (عز وجل) دستورًا نهائيًّا للبشرية عامة، فقد اهتم بموضوع البيئة، وأكد على المحافظة على كل مكوناتها؛ ذلك أن نهائية هذه الرسالة وعموميتها صفتان ضمنتا للإسلام شموليته لكل مناحي الحياة المادية والمعنوية، وشموليته لكل ما يؤدي به إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وأن البيئة بكل جوانبها تقع ضمن هذه الشمولية؛ ذلك لأن البيئة هي مسرح تحقيق خلافة الإنسان على الأرض، فما لم تتحقق شروط السلامة الكاملة للبيئة لا تتحقق الخلافة التي دعي الإنسان لتحقيقها.

لقد ركز الإسلام على المسؤولية الجماعية والمشتركة في حماية البيئة والمحافظة على توازنها وعدم العبث بالموارد الطبيعية وحفظ حقوق الأجيال الحالية والقادمة في استغلالها واعتبار أن الحياة مسؤولية عامة ومشتركة إذا أخل بها نفر سار ضرره على الباقين.

كما حثَّ على الغرس والزراعة واستغلال الأرض التي سخرها الله للإنسان والكائنات الحية، والاهتمام بموارد المياه وعدم احتكارها وجعل الناس شركاء فيها، والمحافظة على الحيوان ومراعاة حقوقه والرفق به، والعناية بالنظافة العامة والخاصة، والعمل على الوقاية من الأمراض قبل وقوعها، (من خلال ما يعرف بالطب الوقائي في الإسلام)، والسعي للعلاج منها عندما تحل بالإنسان.. وجعل ذلك كله من المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية.

ثالثا: تبني مشروع عربي لزراعة الأشجار المثمرة على الطرق وعلى شواطئ مجاري المياه العذبة في كل مكان

ومن هنا فإنني أطالب بالتوسع في زراعة النباتات المثمرة، وتنميتها، وتنسيقها بشكل جمالي، بدلا من زراعة ملايين الأشجار غير المثمرة المنتشرة في عموم الطرق والحدائق العامة، والخاصة، وفي المنازل ببلادنا، وتبني خطة طموحة لزراعة شواطئ الأنهار والترع والقنوات وشتى مجاري المياه العذبة وغيرها بمليارات الأشجار المثمرة وأشجار الفاكهة من التين والزيتون والرمان والأعناب والنخيل... وغيرها، بدلا من الحشائش وأشجار الغاب المنتشرة على شواطئ مجاري المياه العذبة والتي تستنزف مياهً كثيرة وأرضا خصبة بلا فائدة- وذلك في إطار مشروع عربي كبير؛ لتحقيق كفاية الأمة من الغذاء. **ويا ليت كل شخص يبادر بزراعة شجرة مثمرة له وشجرة لكل مَن يتولى أمره.**

كيف نسهم في علاج مشكلات المياه بشكل عملي؟

أولا: لابد من تدشين حملة قومية لإصلاح وتحديث صنابير المياه في المنازل والمساجد والمؤسسات المختلفة.

ثانيا: استحداث أنواع جديدة من الصنابير تعمل بالأشعة والتوسع في صناعتها محليا، والتوسع في نظم الري الحديثة.

ثالثا: تحويل صرف مياه أحواض غسيل الوجه –بعد ترشيحها بواسطة فلتر– إلى صرف سيفونات الحمامات (صناديق الطرد).

رابعا: تقليل حجم صندوق طرد الحمام "السيفون".

خامسا: التوسع في زراعة الزيتون، والأشجار المثمرة بدلا من نباتات الزينة.

سادسا: عزل الصرف الصحي الخفيف، عن الصرف الثقيل.

سابعا: فصل وتقسيم المياه إلى البيوت وغيرها إلى: مياه صالحة للاستخدام الآدمي، وأخرى ما تسمى بالمياه العكرة لإزاحة الصرف الثقيل، وغسيل السيارات، وري الحدائق.. وغيرها.

ثامنا: التوسع في استخدام نظم الغسيل الجاف للملابس والمفروشات بدلا من الغسيل بالماء كما هو الحال في دول شمال أوروبا التي يقل فيها ظهور الشمس.

تاسعا: تجميع مياه المطر والاستفادة بها وإنشاء هيئات إقليمية ومنظمات فاعلة لتنظيم مياه الأنهار والأمطار.

عاشرا: إنشاء صناديق خاصة لدعم الجهود المتعلقة بمواجهة مشكلة المياه.

أخي الكريم: لا تسْتصغر ولا تسْتقلّ كلّ قطْرة ماء، فتهْدرها ولا تبالي! إنّ معْظم النّار منْ مسْتصْغر الشّرر! ومن اسْتسْهل هدْرَ القليل من الماء أضاع الماء، وأضاع الحياة نفْسها، وأضاع الأجْيال القادمة، تذكّرْ هذا وأنْت تغْسل يديْك، وأنْت تتوضّأ، وأنْت ترْوي حقْلك، وأنْت تغْسل سيّارتك. كيْف يجيز لنفْسه أنْ يسْرف في الماء وهو يسْقي زرْعه أوْ يرشّ طريقه! إنّها عادات يكْرهها الشّرْع، وتأْباها العقول الرّشيدة... وتذكر جيدًا أن ٩٥٪

من مياه مصر تأتي من خارجها، ومن هنا يجب أن نتكاتف جميعا للحفاظ عليها... فكلنا في حاجة إلى الماء ولن نستطيع أبدًا أن نعيش بدونه، وصدق الله القائل: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (النور: ٤٥).

عباد الله: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

***

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى (ﷺ)، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله...

يقول الحق تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٩٠)

أما بعد،،

تحريم القمار بكل صوره وأشكاله (المادية والإلكترونية):

حرّم الإسلام القِمَارَ (الميسر) بشتى صوره وأشكاله وألوانه، وبشكل قاطع وواضح لا لبس فيه ولا غموض.

وَالمَيْسِرُ هُوَ القِمَارُ، فَالقِمَارُ خَطِيرٌ، بَلْ وَرِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، يَسْتَقْذِرُهُ كُلُّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

فالقمار المادِّيُّ وَالإِلِكْتِرُونِيُّ حرام وسَوَاءٌ بسواء، وقد حرَّمه الإسلام لعدة أسباب، أبرزها: الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والنفسية والاقتصادية التي تنجم عن هذه الممارسة الخطيرة.

وتحريم القِمَار جزء من التشريع الإسلامي الذي يستهدف بناء مجتمع سليم ورشيد قائم على العدالة والأخلاق وحماية الأموال.

ويحث الإسلام على اجتنابه كوسيلة لتحقيق الفلاح.

إن تحريم القمار في الإسلام يأتي لحماية الأفراد والمجتمع من الأضرار المالية والنفسية والاجتماعية، وهو في منظور الإسلام من الأمور المفسدة التي يجب تجنبها لتحقيق مجتمع سليم وعادل.

وينجم عن القمار:

أضرار مالية واقتصادية: فالقمار يُعرّض أموال الناس للخطر بشكل غير عادل، حيث تعتمد الأرباح على الحظ، مما يؤدي إلى خسائر مالية فادحة.

وأضرار اجتماعية: حيث يؤدي القمار إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وزيادة الكراهية والعداوة بين الأفراد بسبب الخسائر المالية والنزاعات.

وأضرار نفسية: ذلك أن ممارسة القمار تؤدي إلى الإدمان والإحباط، حيث يسعى الناس لتعويض خسائرهم، مما يزيد من معاناتهم النفسية.

"القِمَارَ اليوْم في عالم الفضاء الإلكترونيّ بدأ يتّخذ صورًا جديدةً مسْتحْدثةً –كما قالت وزارة الأوقاف–، حيْث تسلّلتْ إلى عادات بعْض النّاس قضيّة المراهنات الإلكْترونيّة والقمار الإلكْترونيّ، فقدْ تكون مباريات افْتراضيّةً، وقدْ تكون ألْعابًا إلكْترونيّةً تقوم على المخاطرة والمراهنة، حتّى إنّ بعْض المواقع قدْ يقدّم ثلاثين مراهنةً للْحدث الواحد، وهو القمار بعيْنه، في خطورته، وفي تدْميره لأمْوال الإنْسان ونفْسيّته، وفي آثاره بالغة الخطورة الّتي تداعب حلْم الشّابّ بالثّراء السّريع، فينْدفع وينْحرف، وينْتهي الحال بهذه المقامرة أنْ تدْفع أحدهمْ أنْ يبيع منْزله، وتدْفع أحدهمْ لسرقة مجْوْهرات أسْرته، وأحدهمْ تحاصره خسائر هذا القِمَار الإلكْترونيّ الملْعون، وتثْقله الضّغوط والابْتزاز فينْتحر، مع ديون وإفْلاس وكوارث أخْرى".

وقد نهي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن مجرد الدعوة إلى القمار، حتى ولو كان في أشكال ترفيهية بسيطة فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَن قالَ لِصاحِبِهِ: تَعالَ

أُقامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ) [٣٥]، مما يؤكد حرص الإسلام على تجنب أي شكل من أشكال القمار فَحَذِّرُوا مِنْهُ كُلَّ مَنْ تَعْرِفُونَ وَتُحِبُّونَ...

اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن... اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها لا يصرف سيئها إلاّ أنت، اللهم فقّهنا في ديننا وبصّرنا بعيوبنا، وارزقنا الثبات واليقين، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واحفظنا مِن بين أيدينا ومِن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومِن فوقنا ونعوذ بعظمتك أنْ نُغتال مِن تحتنا، اللهم أصلحنا وأصلح لنا وأصلح بنا واصلح مَن حولنا، اللهم اهدنا سُبُل السلام، وأخرجنا مِن الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق قيادتها وجيشها وأمنها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وأقم الصلاة.

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية

عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥

بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة صفحة الفيس بوك: د. أحمد علي سليمان

https://www.facebook.com/profile.php?id=١٠٠٠٠٠٧٤٠٨٨٧٧٥٨

***

(٣٥) أخرجه البخاري في صحيحه.